مقدمة

عندما خلق الله الخلق كان لابد أن يدلهم على الطريق السليم الذين يجدون به أنفسهم، ولن يجدوا أنفسهم إلا بمعرفة الله سبحانه وعبادته، لأن الله ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته.. وكل ما فى الوجود يسبح الله ويخضع له، والله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء.. ولكى يعرف الناس خالقهم كان لابد من إرسال الرسل والأنبياء.. ومهمة هؤلاء الرسل والأنبياء القيام بتبليغ الناس بما ينبغى أن يعرفوه عن خالقهم جل علاه.. فهو الواحد الأحد.. وهو الصمد.. وهو الغنى عن الولد.. وأن على الناس أن يؤمنوا بوحدانيته.. وهو الذى شرع لهم الحلال، وأمرهم بالابتعاد عن الحرام.. وأوضح لهم ما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين الناس.

فرسالة الله لعباده إذن واحدة، وهناك على فترات من الزمن جاء الأنبياء والمرسلون لتذكير الناس، وتوضيح الأمور لهم.

فالدين إذن واحد.. جاء به كل الأنبياء والمرسلون.. وكل هؤلاء الأنبياء نادوا بالتوحيد، والإيمان بالبعث واليوم الآخر.. لم يختلف رسول عن رسول فى ذلك، ولكن جاء كل رسول بما يتناسب مع العصر الذى وجد فيه، وجاءت شريعة كل رسالة بما يتفق مع زمان

الرسالة، إلى أن جاءت رسالة الإسلام الخالدة، فجبت ما قبلها لأنها مكملة لكل هذه الرسالات، ومضيفة إليها من التشريعات ما يتلاءم مع زمن الرسالة وما بعدها من أزمنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن هنا نرى أن الإسلام به ثوابت ومتغيرات.

ثوابت تتعلق بالعقيدة، وما بنى عليه الإسلام من الأركان الخمسة.

وهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واقام الصلاة، وإتياء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

وهناك متغيرات باب الاجتهاد فيه مفتوح؛ ليجد فيه كل عصر ما يتلاءم مع ما حدث فيه من تغيرات، وهناك مقاييس وضعها رجال الفكر والفقه الإسلامى للرؤية إلى مستجدات الأمور والحكم عليها، والحكم فى ذلك ما جاء فى كتاب الله، وسنة الرسول، والاجماع والقياس.. والرسالات السماوية الكبرى والتى تعتبر بمثابة المحطات الرئيسية التى وقفت أمامها البشرية فى تاريخها الطويل هى تلك التى جاء بها أولو العزم من الرسل، وقد اتفقت معظم آراء المفسرين على أن أولى العزم من الرسل - الذين جاءوا فى الآية الكريمة ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾**﴾ [الأحقاف: ٣٥] - هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه

الصلاة والسلام.

ومن هنا كانت هذه الرحلة مع هؤلاء الأنبياء الكرام، وقد آثرت أن تكون هذه الدراسة من خلال ما جاء فى القرآن الكريم، لأنه الكتاب الوحيد المعصوم، والذى تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

بعكس ما حدث للكتب السماوية الأخرى، فقد حرّفت، فالتوراة كتبها اليهود بعد نفيهم إلى (بابل) بعد هزيمتهم على يد (بوخذ نصر) (بختنصر) والذى نفاهم إلى بابل، وعلى أرض المنفى كتبوا التوراة حسب أهوائهم، وأضافوا إليها بعض الأساطير التى كانت منتشرة فى بابل وفى مصر، ومن هنا وجدنا التوراة مليئة بالأساطير، وبعض الحكم التى قال بها (إخناتون)! والقرآن الكريم يحذرنا من ذلك فى قول الله تعالى:

﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ۝٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

والذى يقرأ التوراة سوف يصدمه ما يجده فيها من تناقضات، ومن أمور تتنافى مع العظمة الإلهية وعصمة الأنبياء، فالتوراة وهى تحكى -مثلا - عن خطيئة آدم تقول : إن الله لم يعرف أن آدم قد عصى أمره عندما نهاه عن الأكل من الشجرة المحرمة إلا من الأفعى؟!

وهو جل شأنه لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء، بل صوروه - جل علاه - يتمشى فى الجنة، ويختبئ منه آدم وحواء بعد أن عصياه بالأكل من الشجرة المحرمة، وكأن الله يتجسد كالبشر ويمشى فى الجنة كالبشر..!

بينما نرى الله فى القرآن الكريم لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وأن موسى - عليه السلام - عندما كان يناجيه وأراد رؤيته استعصت عليه هذه الرؤية، لأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو يحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

ونرى الأنبياء فى التوراة فى صور تتنافى مع جلال هذه الشخصيات فنوح - عليه السلام - يشرب الخمر!

ولوط - عليه السلام - تسكره ابنتاه، حتى يضطجعان معه ليلدن منه الواحدة تلو الأخرى.

وبينما تصور التوراة هذه الصور البشعة، نرى القرآن الكريم يصور الأنبياء بالصورة التى تليق بجهادهم وعظمة شخصياتهم، وتقواهم وحبهم لله.

والقرآن الكريم يصور (لوط) - عليه السلام - فى الكثير من الآيات بما يتفق وجلال النبوة، يقول عنه فى سورة الأنبياء مثلا:

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٤، ٧٥].

والتوراة تنكر قيام إبراهيم - عليه السلام - ببناء أول بيت وضع للناس، فلا تذكر قيامه مع ابنه إسماعيل بإقامة القواعد من البيت.. والهدف واضح، وهو أن الأنبياء من اليهود، ولا ينبغى أن يكون هناك نبى من العرب كإسماعيل ابن خليل الرحمن إبراهيم، رغم أن بناء الكعبة التى بناها الخليل عليه السلام لا علاقة له بالديانة اليهودية.

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٥].

وإذا كانت التوراة بها الكثير من التحريف، والوضع فيها ظاهر؛ لأن هناك كثيرًا من الأحداث قد دونت فى التوراة بعد زمن موسى -عليه السلام- فإن الأناجيل قد كتبت بعد عيسى - عليه السلام- بمائتى وسبعين عامًا فى قول وفى قول آخر بعد ثلاثمائة عامًا.

وبالتالى امتلأت هذه الأناجيل بأمور لم يأتِ بها عيسى - عليه السلام - ولم يقل بها، من أمور تتنافى مع التوحيد ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

﴿لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

والخلاصة أن كل أنبياء الله جاءوا بدين التوحيد.. دين الإسلام.. بمعنى إسلام الوجه لله، ولأن القرآن الكريم قد عصمه الله بالحفظ، فقد صور لنا حياة هؤلاء الرسل الكرام ودعواتهم بأسلوبه وبيانه المعجز.. هذه الرسالات التى اكتملت برسالة الإسلام الخالدة، أو ما جاءت به من شريعة هى الحكم العدل بين الناس إلى يوم الدين.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

ونبحر مع هؤلاء الرسل الكرام، الذين حملوا الأمانة، وبلغوا رسالات السماء، واحتملوا ما احتملوا من جهد، حتى تصل رسالات الله إلى خلقه، وحتى يعرف الناس أمور دينهم ودنياهم.. إنها رحلة مع النور الإلهى الذى يهدينا إلى سواء السبيل.. وتظل كلمات الرسول الخالدة نور هداية للبشرية فى كل أجيالها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:

«تركت فيكم ما إن تمسَّكْتم به لن تضلوا أبدًا. .كتاب الله وسنتى» صدق رسول الله ﷺ.

مأمــون غريب